المقاومة السياسية العربية في الجزائر للاحتلال الفرنسي ... حزب الشعب الجزائري مثالاً

د. جمانة محمد راشد

مدخل:

لقد شكل الاحتلال الفرنسي للجزائر عاملاً دافعاً لبث روح المقاومة العربية ضد الاستعمار، وقد تمثلت هذه المقاومة بحركة اجتماعية كان من نتاجها مفكرون أمثال عبد الحميد بن باديس الذي عمل على احياء اليقظة العربية وتطور الفكر القومي في الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة.

ادى هذا التطور في الفكر القومي الى البحث عن أداة قادرة على نقل ذلك الفكر وقد تجسد هذا في المحاولات العديدة لتشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية القومية ذات الإيديولوجيات العربية الواضحة، لهذا نجد ان حزب الشعب الجزائري او (جمعية نجم شمال افريقيا) كما كان يسمى أولاً كان حزباً اهدافه نابعة من حاجة الجماهير، فقد كان حركة قومية عربية تهدف الى تحرير المغرب العربي السياسي والاجتماعي فكان أول منظمة سياسية وطنية تنشأ في اقطار المغرب العربي تطالب بالاستقلال التام للجزائر وتونس والمغرب وتؤكد من خلال برامجها ومؤتمراتها ضرورة التغيير الإجتماعي لهذه الأقطار اذ يبدأ التغيير بعد حصولها على الاستقلال فكان أول منظمة عربية ربطت بشكل نظري لحد ما بين التحرر السياسي والتحرر الاجتماعي.

أولاً: الاحتلال الفرنسي للجزائر:

اتجهت فرنسا في بداية القرن التاسع عشر إلى اعادة بناء إمبراطورية كبيرة ذات مستعمرات واسعة لتصريف منتجاتها بعد أن فقدت مستعمراتها على أثر خسارتها في حرب السبع سنوات مع بريطانيا، وكانت حملتها على مصر سنة ١٧٩٨ بادرة لهذه السياسة، فبعد انسحاب فرنسا من مصر سنة ١٨٠١، أخذت تراود نابليون بونابرت (Napolean Bonaparte) (١) الأفكار في امكانية ضم المغرب العربي إلى فرنسا وجعل البحر المتوسط منطقة فرنسية، فأرسل في عام ١٨٠٨احد ضباطه لرسم خريطة للجزائر ولمواقعها العسكرية (٢).

وفي عام ١٨٠٩ تسلّم نابليون بونابرت مخطط الاحتلال وكان يقوم على أساس احتلال مدينة الجزائر عبر البر ثم التوسع لاحتلال بقية الأراضي الجزائرية، إلا أن انشغاله بحروبه الخارجية وعدم استقرار الأوضاع الداخلية قد أبعده عن احتلال الجزائر (٣). وعلى الرغم من انشغال فرنسا بعد ذلك بمقاومة التحالف الأوربي ضدها وحروبها النابليونية وحتى سقوط نابليون عام ١٨١٥، ثم انشغالها بترتيب أوضاعها السياسية بعد سقوطه؛ إلا أن فكرة الاستيلاء على الجزائر اخذت تراودها من جديد ولاسيما بعد أن قامت بريطانيا بضرب مدينة الجزائر عام ١٨٢٤ متذرعة بأن الداي (٤) قد امر بسجن بعض الأهالي الذين يخدمون القنصل البريطاني هناك، فقد وجدت فرنسا في هذا الادعاء تهديداً بريطانياً واضحاً لتوسيع نفوذها بالجزائر، الأمر الذي أثار مخاوف فرنسا وجعلها تفكر جدياً باحتلال الجزائر(٥).

وكانت فرنسا قد اتخذت مدفوعة باسباب عدة ذرائع لاحتلال الجزائر، فبعد أن فقدت الكثير من أراضيها ابان الحروب النابليونية في أوربا، رأت انه من الأفضل التوسع في افريقيا وتحقيق انتصارات هناك بهدف إشغال الرأي العام الفرنسي عن الوضع الداخلي في فرنسا وتوجيه الأنظار حول فتوحات وانتصارات فرنسية في البلاد العربية ولامتصاص نقمة وامتعاض الشعب وغضبه من الحكومة الفرنسية (٦).

وكذلك لعبت الثورة الصناعية وما افرزته من تطورات اقتصادية دوراً كبيراً في توجيه فرنسا نحو الجزائر،

إذ وجدت في الجزائر سوقاً لتصريف الفائض من المنتجات الفرنسية ومعيناً لاينضب في تزويد المعامل الفرنسية بالمواد الأولية، ولابد من الإشارة إلى ان فرنسا قد اتخذت من الأسباب الدينية مبرراً لاحتلال الجزائر، إذ لم يتوقف حلم القادة الأوربيين بإعادة حلم الحروب الصليبية بل بقي هذا الحلم يراود الدول الكبرى ومنها فرنسا التي كانت تحلم بالتحكم الديني من خلال بسط نفوذها المسيحي على كامل الأراضي الافريقية وبذلك تكون قد اسدت خدمة كبيرة إلى العالم المسيحي وشعوب البحر المتوسط(٧)، وكذلك فأن فرنسا تذرعت بضرورة القضاء على القراصنة في البحر المتوسط وضرورة تأمين المواصلات والتجارة في ذلك البحر، إذ ان الأسطول الجزائري كان مسيطراً عليه وكان الداي يفرض الاتاوة على السفن التي كانت تبحر في البحر المتوسط وعلى طول الشواطئ الجزائرية (٨).

فضلاً عن ذلك فأن الضائقة الاقتصادية التي عانتها فرنسا عقب الثورة الفرنسية تعد احد العوامل التي دفعتها لاحتلال الجزائر، فقد كانت فرنسا تعاني ضائقة اقتصادية ثقيلة، وكانت دول أوربا تقف موقف العداء من فرنسا بعد زحف نابليون عليها ونتيجة لذلك مدت فرنسا يدها تطلب العون الاقتصادي من الجزائر، فاشترت الحبوب باثمان مؤجلة، وكان التجار اليهود يقومون بدور الوساطة في هذه التجارة، وحلت مواعيد السداد، ولكن فرنسا ماطلت في الدفع، مدعية حيناً أنّ أثمان السلع التي قدّر الدين على أساسها مبالغ فيها، وزاعمة حيناً آخر أن السلطات الفرنسية لم تتسلم البضائع، كما صمّت آذانها احياناً عن المطالبة ولاذت بالصمت (٩).

أما السبب الذي تذرعت به فرنسا لشن العدوان فهو حادثة المروحة. فقد جرت العادة أن يقوم قناصل الدول الأوربية المعتمدون بالجزائر عشية عيد الفطر بزيارة اكرام وتهنئة للداي بتلك المناسبة، وفي أمسية عيد الفطر ٢٩ نيسان ١٨٢٧ أبدى الداي للقنصل الفرنسي بييردوفال (Pierre Duval) امتعاضه من تماطل الحكومة الفرنسية من تسديد ديونها للجزائر واشتكى من عدم اكتراث الملك شارل العاشر (Charles X) (١٠) وحكومته بالرد على رسائله واستفساراته المتكررة بهذا الشأن فكان رد القنصل وقحاً إذ وضع يده على مقبض سيفه متحدياً قائلاً للداي (ان حكومتي لاتتنازل لاجابة رجل مثلكم) (١١).

وتمادى القنصل في استفزازاته وسوء أدبه وتشعب النقاش بين الرجلين إلى موضوع السيادة على البحر المتوسط فاشتد غضب الداي وضرب القنصل بمروحته وتلا ذلك مهاجمة وتدمير المراكز والمستودعات الفرنسية، وعدت فرنسا حادثة المروحة اهانة لايمكن السكوت عنها فطالبت الداي باعتذار فيه إذلال كبير للجزائر نص على ما يأتي:

١- تقديم اعتذار رسمي من الداي عما حصل للقنصل الفرنسي.
٢- رفع العلم الفرنسي على قصر الداي وابراج وحصون مدينة الجزائر واطلاق (١٠٠) طلقة مدفع لتحيته(١٢).

رفض الداي الاعتذار فتصاعدت حدة التوتر بين الدولتين وعمدت فرنسا إلى فرض حصار بحري على مدينة الجزائر ابتداءاً من ١٦ حزيران ١٨٢٧ بدعوى الانتقام للاهانة المزعومة (١٣).

وبدأت اتصالات لتسوية الموقف بالطرق السلمية ولكن دون جدوى لان نية فرنسا المسبقة تكمن في احتلال الجزائر، ولانها اصطنعت الأسباب لتسويغ الاحتلال، وشرعت فرنسا في الاستعداد للقتال واتمت استعداداتها عام ١٨٣٠ وابحرت (١٠٣) سفينة حربية فرنسية و(٤٠٠) سفينة نقل تحمل (٤٠) الف جندي و(٣) الاف مدفع قاصدة الجزائر ونزلت هذه القوة على البر وهزمت القوات الجزائرية بعد خمسة ايام من قتال مستميت، وفي اقل من شهر استسلم الداي، وسلم مدينة الجزائر، وغادر الجزائر إلى الإسكندرية، وتوفي فيها بعد ثمانية أعوام (١٤).

ولكن احتلال مدينة الجزائر لم يؤد إلى خضوع البلاد جميعها وكان على الفرنسيين ان يخضعوا المدن الأخرى وهي وهران وقسنطينة، وأتمّ الفرنسيون احتلال الأولى عام ١٨٣٣ والثانية عام ١٨٣٩ (١٥).

قدم الفرنسيون انفسهم إلى الجزائريين على انهم محررين لا فاتحين وادّعوا بأنهم كانوا يستهدفون القضاء على الداي (الطاغية) وان الممتلكات جميعها ستبقى بيد الجزائريين وان أماكن العبادة والمساجد ستحترم (١٦)، واتبع الفرنسيون سياسة الاحتلال الجزئي تحت أول حكم عسكري وحصنوا أهم المدن الساحلية، اما في الأرياف فقد اعتمد الفرنسيون في ادارتها على مكاتب يرأسها ضباط فرنسيون، ثم شيئاً فشيئاً تحولت هذه السياسة إلى سياسة احتلال

كلي باستعمال ما يمكن من الوسائل الضرورية لتحقيق ذلك الهدف وعهد إلى الجنرال بيجو (Peugeot) للتنفيذ (١٧)، والذي رأى ان يتبع سياسة (الأرض المحترقة) ليصل إلى هدفه فأمر جنوده بحرق المحاصيل وحجر النساء والاطفال اما كرهائن أو للبيع للحصول على الخيول وخنق قبائل كاملة في الكهوف (١٨). ورداً على الاحتلال الفرنسي للجزائر واساليبه التعسفية انطلقت المقاومة الجزائرية وكانت على مرحلتين الأولى عفوية ابتدأت منذ ان وطأت اقدام المحتلين ارض الجزائر عام ١٨٣٠ وكبدت العدو خسائر كبيرة واستمرت حتى عام ١٨٣٢ ، إذ بدأت المرحلة الثانية التي قاد فيها المقاومة الأمير عبد القادر الجزائري (١٩) وأول عمل قام به الأمير الشاب استرجاع السيادة الجزائرية بانشاء حكومة وتأسيس جيش وادارة، وقد امتدت سلطته على كافة الأراضي الجزائرية عدا جهات مدن وهران والجزائر وعنابة، ولشدة المقاومة التي ابداها الجزائريون وارباكهم العدو وتكبيده خسائر فادحة اضطرت فرنسا لتوقيع معاهدة دي ميشيل مع الجزائر في ٢٦/شباط/ ١٨٣٤ لتعمل على اعادة تنظيم قواتها وبالمقابل كذلك افاد الجزائريون منها في التقاط أنفاسهم واعادة تنظيم صفوفهم واتخاذها كاستراحة محارب، غير ان القوات الفرنسية خرقت الهدنة التي أتت بها المعاهدة وأستأنفوا قتالهم (٢٠)؛ فما كان من الجزائريين بقيادة الأمير عبد القادر إلا أن استأنفوا المقاومة وبشكل اكبر من ذي قبل، مما اضطر القوات الفرنسية إلى طلب الصلح ثانية فعقدوا معاهدة تافنا في ٣٠/ايار/١٨٣٥ مع الجزائريين؛ إلا أن المعاهدة لم تحل دون الصدام بين الطرفين لأنّ نوايا الفرنسيين كانت لاتوقفها معاهدة إذ سرعان ما نكثوا وعودهم وخرقوا بنود المعاهدة واضطر الأمير عبد القادر إلى تسليم نفسه إلى السلطات الفرنسية في ٢٥/كانون الأول/ ١٨٤٧ (٢١). واصل الجزائريون الحرب التي بدأها الأمير عبد القادر ففي سنة ١٨٤٧ قامت ثورة بومعزة في جبال الظهرة؛ وفي سنة ١٨٥١ قامت ثورة بوبغلة في منطقة القبائل؛ وفي سنة ١٨٧١ بدأت ثورة المقراني إذ استطاع ان يوحد القبائل في الجزائر بثورة عارمة شملت معظم الريف وكادت ان تطرد قوات الاحتلال لولا قيام فرنسا بتجنيد كل قواها للقضاء عليها، فعلى الرغم من النجاح الذي حققته هذه الثورة في بداية الامر نتيجة لسوء الأحوال في فرنسا بسبب حرب السبعين التي خاضتها ضد بروسيا، الا انها لم تدم طويلاً لاسيما بعد مقتل المقراني في معركة وادي سفلان في ٢/ايار/١٨٧١ مما اثر معنوياً في الثورة فضلاً عن التفوق العسكري لفرنسا وعزلة الثوار وعدم حصولهم على المساعدات الخارجية، كل ذلك مكن الفرنسيين من القضاء عليها؛ وعلى الرغم من اخفاقها الا انها تعد من اكبر حركات المقاومة التي ظهرت في الجزائر بعد ثورة عبد القادر الجزائري ثم تلتها ثورة اولاد سيدي الشيخ بو عمامة التي استمرت عشر سنوات ١٨٧١-١٨٨١ وكانت امتداداً لثورة المقراني (٢٢).

ثانياً: سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر:

اتجهت سياسة فرنسا في الجزائر نحو الوصول إلى هدفين هما: فرنسة السكان، وفرنسة الأرض. وفيما يتعلق بفرنسة ارض الجزائر، اعلنت فرنسا ان الجزائر قطعة طبيعية من فرنسا، وان المنطقة الشاطئية جزء لايتجزأ من فرنسا نفسها، وبناء على ذلك عينت فرنسا المقيم العام حاكماً على الجزائر وهو مسؤول عن جميع الإدارات الحكومية التي يدير كلاً منها فرنسي أيضاً ويباشر العمل فيها مئات من الموظفين الفرنسيين، وتنقسم الجزائر إلى ثلاث مديريات: قسنطينة ، الجزائر ووهران (٢٣).

اما فرنسة السكان، فقد اتخذت الحكومة الفرنسية طريقتين لتنفيذها، الأولى محاولة فرنسة الجزائريين والثانية جلب اعداد كبيرة من الأوربيين عامة ومن الفرنسيين خاصة ليستوطنوا الجزائر، ولم تكن الطريقة الأولى مثمرة فلم يقبل السكان العرب ان يكونوا فرنسيين وتبعاً لذلك اتجهت فرنسا إلى القضاء على الشعب الجزائري وتشريده، ولجأ الفرنسيون إلى الطرق الأخرى وهي استقدام الأوربيين ونجحوا في ذلك، وأصدرت فرنسا قانون الجنسية وهو يعطي الجنسية لكل مواطن أوربي يولد في الجزائر، وفي سنة ١٩٢٠ صدر دستور الجزائر الذي أصبح كل جزائري بمقتضاه مواطناً فرنسياً (٢٤).

ونتيجة للهجرات المستمرة ولنزع ملكية المواطنين نشأ في الجزائر مجتمع أوربي يتكون من جنسيات متعددة مختلفة تسيطر على مقدرات البلاد الاقتصادية اما بشكل ملكيات كبيرة واما بشكل رأسمال كبير (٢٥).

ومن أهم وسائل السياسة الفرنسية

في الجزائر: محاربة اللغة العربية والاسلام، فقد عمدت فرنسا إلى القضاء على الوحدة الوطنية الجزائرية بالقضاء على اللغة والدين فجعلت اللغة الفرنسية لغة الدولة الرسمية، ومنعت العرب من افتتاح مدارس الا بأمر المقيم الفرنسي، وحرمت المدارس الأهلية العربية واغلقتها، كما اتجهت سلطات فرنسا إلى مقاومة الإسلام، وقد لجأت إلى تهديم المساجد واضعاف القضاء الشرعي والاستيلاء على اموال الاوقاف وتعيين الامام والمفتي الموالي للإدارة الفرنسية (٢٦).

واستولت سلطة الاحتلال على أكثر الأراضي واخصبها، وعلى اراضي الأوقاف الإسلامية، وقد أقامت فرنسا في هذه المساحات مستعمرات زراعية يملكها الأوربيون في حين لايملك الجزائريون الا الأراضي القاحلة، ولم يقف الاحتلال عند الأراضي الزراعية بل تعداها إلى جميع مصادر الثروة فاستولى على الثروة المعدنية، ومراكز الصناعة، واسواق التجارة (٢٧).

ثالثاً: النهضة الوطنية الجزائرية:

ان النهضة في الجزائر لم تكن وليدة فراغ فالسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا وما لاقاه الشعب الجزائري منها كل ذلك دفع الجزائريين إلى المقاومة ورفض الاحتلال، فثورات الفلاحين وتنظيم الجمعيات الدينية السرية والأدب الشعبي لم تكن الا بعض مظاهر المقاومة المتواصلة ضد حكم مفروض(٢٨). وقد ولدت النهضة نتيجة ثلاثة عوامل اولها الاتصال المباشر مع الثقافة الأوربية وثانيها تأثير الشرق الأدنى من خلال نداء القومية العربية وثالثها التطورات العالمية وأبرزها الصراع بين القومية والإمبريالية، فظهرت النهضة الجزائرية بأشكال مختلفة منها الانتعاش الثقافي وبعث الحياة في الشخصية الوطنية واستعادة الثقة، كما ان المطالب السياسية للجنة الدفاع عن مصالح المسلمين قد أدت إلى خلق تعبيرات جديدة في القاموس الشعبي مثل الحقوق السياسية، المساواة، الوطن، العدالة والتقدم، كما ادى قانون التجنيد الإجباري إلى خلق هيجان اجتماعي بين الجماهير فاعتمدت هذه النهضة في تعبيرها على الضغط السياسي والخلق الثقافي بدلاً من الثورات العسكرية، المقاومة السلمية (السلبية)، فخلال هذه المدة تيقن الجزائريون إنّ فرنسا قوة لايمكن أنْ تنهزم بالوسائل القديمة لذا يجب عليهم تغيير طريقتهم (٢٩).

ان أهم مظاهر التحدي الجزائري لسلطات الاحتلال الفرنسية وقع بسبب قضية التجنيد العسكري الإجباري، وقد تحدى الجزائريون الفرنسيين بين أعوام ١٩٠٦-١٩١٢ على عدة جبهات وطالبوا بالحقوق السياسية والتمثيل النيابي الجاد والمساواة في الضرائب وارباح الميزانية وانهاء النظام الاقطاعي والغاء كافة القوانين الاستثنائية وقد نظموا جملة من العرائض والوفود والمظاهرات للحصول على مطالبهم ومع ذلك ظلت الجزائر وراء الستار الفرنسي لفشلها في تحقيق اهدافها وذلك راجع إلى ضعف التنظيم ونقص التجربة وسوء فهم السياسة الفرنسية، وبدخول فرنسا الحرب العالمية الأولى نجحت في ممارسة السياسة الإرهابية المتطرفة ضد الجزائريين بتجنيد الالاف من الفلاحين والعمال العاطلين وقد اجبر البعض على دفع الأموال والذهب للتخلص من هذا التجنيد (٣٠).

ومن نتائج دخول الحرب العالمية الأولى على الجزائريين احتكاكهم بالأوربيين وتعلمهم من ذلك دروساً لاتقدر بثمن وافكاراً جديدة لم يعرفوها قبلاً، كما تأثر الجزائريون بالأحزاب واتحادات العمال الفرنسية عن طريق سفرهم إلى فرنسا إذ اطلعوا على مبادئ الثورة الفرنسية، كما وتأثر الجزائريون بالمبادئ الأربعة للرئيس الأمريكي ودرو ويلسون (Woodrow Wilson) (٣١) ولاسيما مبدأ تقرير المصير فاصبحوا ينادون بها ويطالبون بتحقيقها واخيراً فأن الحرب والاحداث التي تلتها قد فتحت آفاقاً واسعة امام نضال الشعب الجزائري وادخلتهم في عهد جديد واحدى النتائج المهمة للحرب ظهور الأحزاب السياسية الجزائرية(٣٢).

رابعاً: عبد الحميد بن باديس واثره في اليقظة الجزائرية:

من ابرز الذين كان لهم دور في اليقظة الجزائرية عبد الحميد بن باديس فهو يعد الرائد الأول لحركة الإصلاح الديني. ولد عبد الحميد في ٤/كانون الأول/١٨٨٩ بمدينة قسنطينة من أسرة اشتهرت بالعلم والفضل (٣٣). وبدأ التدريس في الجامع الأخضر سنة ١٩٣٢ بعد حصوله على الشهادة العالية من جامع الزيتونة وجاء تدريسه معبراً عن افكاره التي اعتنقها وكان قد تعاون مع جماعة من الشباب الجزائري الذي التف

حوله وأسس سنة ١٩٢٥ صحيفة المنتقد، وقد عطلت الصحيفة بعد مدة قصيرة من صدورها وانشأ بعدها صحيفة الشهاب سنة ١٩٢٦ ، كما انشأ ابن باديس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر سنة ١٩٣١ موسعاً وسائله الدعائية والكتابية التي شملت مختلف الأقاليم الجزائرية منبهاً الرأي العام الجزائري ومشكلاً شاغلاً رئيساً للإدارة الفرنسية في الجزائر، ورأى ابن باديس ان امتلاكه مطبعة يُعد عاملاً ضرورياً لاستمراره في العمل الصحفي(٣٤). اما نهج الإصلاح عنده فهو الدعوة إلى الجد والاجتهاد وحرية البحث وتمجيد العقل واهتم باللغة العربية اهتماماً مميزاً إذ أعدّها لغة الدين والحب والقومية والوطنية فجاهد من اجل بقائها والمحافظة على سلامتها وقد اتبع في سبيل ذلك منهجاً واضحاً وصريحاً بنشر التعليم العربي وفتح المدارس التي تدرس فيها اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية، ولم يقتصر ابن باديس في الدعوة إلى فتح مدارس تدرس اللغة العربية بل دافع عنها امام تحديات السياسة الفرنسية وقراراتها في الصحف والمجلات وفي خطبه ومؤتمراته(٣٥).

اما توجهه العروبي فكان واضحاً في أفكاره ومن خلال مواقفه وتحليلاته للقومية العربية، إذ عدّ الوطن الأكبر الذي يجمع العرب جميعاً هو الوطن العربي الإسلامي الذي يتعدى حدود القطر الواحد والقومية العربية عنده مبدأ وعقيدة يحيا من اجل تحقيقها ويضحي في سبيلها بكل ما يملك فهو يؤمن بالوحدة العربية باعتبار الأمة العربية تمتد من المحيط إلى الخليج(٣٦).

يتضح مما سبق ان ابن باديس كان احد دعاة القومية العربية بإطارها الإسلامي وابرز من جاهد في سبيل الحفاظ على الشخصية العربية في الجزائر خاصة ودول المغرب العربي عامة فاستطاع بذلك ان يحفظ للجزائر شخصيتها ويحميها من الاندماج والذوبان مع فرنسا ومن ثم توعية الفكر الجزائري متمثلاً بتشكيل الأحزاب السياسية.

خامساً: حزب الشعب الجزائري:

كانت التسمية الأولى لحزب الشعب الجزائري (جمعية نجم شمال افريقيا) ويعود تاريخ الجمعية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، إذ نشأت على شكل تجمع سياسي في فرنسا من مجموعة من ابناء المغرب العربي المهاجرين هناك، وقد تشكلت بعد أن عقد مؤتمر العمال المغاربة في فرنسا في ٦/كانون الأول/١٩٢٤، وكانت هذه الجمعية موجهة إلى ابناء المغرب العربي وقائمة اساساً على عقيدة قومية وبرنامج عمل سياسي واجتماعي (٣٧). كان مصالي الحاج (٣٨) الروح المحركة لجمعية النجم التي ضمت التونسيين والمراكشيين فضلاً عن الجزائريين وتركز معظم نشاط الجمعية على العمال الذين يخدمون في باريس، وبدأت جمعية نجم شمال افريقيا العمل سنة ١٩٢٦ كما بدأ نشاطها تحت ظل الحزب الشيوعي الفرنسي وتركز حول الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية للمسلمين المغاربة ولتعليم اعضاء الجمعية وتدريسهم(٣٩).

تمثلت اهداف النجم بكونها وطنية تركزت على الدعوة إلى اعلان الاستقلال الكامل للجزائر واجلاء المستوطنين الفرنسيين، كما نادت بالتعليم باللغة العربية ووحدة المغرب العربي، وقد اعتمدت الجمعية لتحقيق اهدافها هذه على الجماهير صاحبة القضية (٤٠).

اتخذت الجمعية من جريدة (الإقدام) لسان حالها مجالاً لنشر النداءات والمنشورات التي توجه إلى ابناء الشعب في اقطار المغرب العربي، ففي سنة ١٩٢٨ أصدر مصالي الحاج وجمعية نجم شمال افريقيا منشوراً على صفحات الاقدام بعنوان (من اجل استقلال افريقيا الشمالية) يدعوان فيه الجماهير إلى توحيد نضالهم وتصعيد نشاطهم للحد من سيطرة الاستعمار وتسلطه، وقد صعدت جمعية النجم من نشاطها عندما أراد الاستعمار الفرنسي الاحتفال بمرور مائة عام على احتلال الجزائر (٤١)، مما حمل السلطات الفرنسية على اتهام الجمعية بالشيوعية وأيدها في ذلك نواب الجزائر في مجلس النواب الفرنسي وأنصارهم فاصدرت محكمة السين حكماً بحل الجمعية سنة ١٩٢٩ (٤٢).

وعلى الرغم من حل الجمعية إلا أن أعضاءها واصلوا العمل سراً، وفي سنة ١٩٣٢ أعيد تشكيل النجم من جديد بأسم (نجم افريقيا الشمالية المجيدة) فعقد اجتماعاً تم بموجبه اتخاذ قرارات عدّت برنامجاً للنجم في المرحلة القادمة، فقد نص برنامجه على الاستقلال التام والتعليم الإجباري باللغة العربية وعدّها اللغة الرسمية للبلاد واجلاء الجيوش الاستعمارية وتأسيس جيش عربي قوي(٤٣).

نستدل من خلال هذا البرنامج على هوية النجم القومية وروحه العربية التي كانت واضحة في جميع مراحل نضاله واعماله، فقد بدأ من اجل تأكيد هوية المغرب العربي العربية وظل يناضل من اجل هذا الهدف على الرغم من تبدل الظروف وتبدل اسمائه التي كان يعلنها للفرنسيين، إلى ان حلت السلطات الفرنسية نجم افريقيا الشمالية المجيدة وقبضت على قادته ومنهم مصالي الحاج وفرضت غرامات مالية عليهم (٤٤).

وفي سنة ١٩٣٤ أعاد مصالي الحاج تكوين النجم باسم جديد (الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا) لكن هذا لم يغير من موقف السلطات الفرنسية التي عدت هذه الهيئات غير مشروعة فحوكم مصالي الحاج وسجن، إلا أن أنصاره رفعوا قضية امام محكمة النقض فقضت بالإفراج عنه باعتبار ان منظمته هيئة نقابية (٤٥).

ولم يستمر العمل طويلاً تحت اسم الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا إذ أصدرت السلطات الفرنسية في نيسان ١٩٣٥ قراراً بإعادة الشرعية للنجم لممارسة نشاطه فعاد أعضاؤه إلى نشاطهم السياسي وبدأوا بتنظيم المظاهرات وعقد المؤتمرات ورفع الشعارات التي تطالب بمساعدة العمال الفرنسيين للشعب الجزائري ومعاداة الاستعمار في الجزائر(٤٦).

اتسع نشاط النجم في سنة ١٩٣٦ وذلك بعد وصول مصالي الحاج إلى الجزائر واجتماعه بعدد كبير من الجزائريين إذ شرح لهم مبادئ النجم واهدافه، ثم قام بتأسيس فروع للحزب والتي أصبحت تخضع لتعليمات المكتب الإداري في باريس فضلاً عن توزيع جريدة (الأمة) باعداد كبيرة وبصورة مستمرة في الجزائر (٤٧). كما قام مصالي الحاج بعقد اجتماع كبير في الملعب البلدي بالعاصمة الجزائر وبحضور نحو (١٠) الاف جزائري، ثم قام بجولة في انحاء البلاد، مما زاد من شعبية النجم حتى وصل عدد اعضائه إلى (١١) الف شخص انتظموا في سبعة فروع في فرنسا وفي نحو ثلاثين فرعاً في الجزائر (٤٨).

ولم يستمر عمل النجم طويلاً بعد ذلك إذ اصدرت الحكومة الفرنسية في ٢٦/كانون الثاني/١٩٣٧ قراراً بحل النجم (٤٩). وفي كل مرة كانت تحل المنظمة التي يرأسها مصالي الحاج فأنه يعود إلى تشكيلها باسم جديد، ففي اذار/ ١٩٣٧ تأسس (حزب الشعب الجزائري) في فرنسا (٥٠).

كان هذا الحزب امتداداً لاهداف وبرامج نجم شمال افريقيا فضلاً عن استعانته ببرنامج حزب الدستور التونسي والحزب الوطني المراكشي إذ كان مصالي الحاج على اتصال وثيق مع زعماء الحركة القومية في كل من تونس ومراكش (٥١).

كانت اهداف حزب الشعب الجزائري لاتختلف في جوهرها عن اهداف حزب النجم فقد طالب منذ تأسيسه بالاستقلال التام للجزائر وعدم الاعتماد على انصاف الحلول أو سياسة المراحل واحترام الدين الإسلامي وتأكيد شخصية الجزائر العربية والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي والارتباط الكلي بالمشرق العربي، وزاد نجاح مصالي الحاج في كل من الجزائر وبين صفوف العمال الجزائريين في فرنسا نفسها ورفع رجال حزب الشعب العلم الجزائري في مظاهرات ١٤/ تموز/١٩٣٧ فألقت السلطات الفرنسية القبض على مصالي الحاج بتهمة ارتكاب الجرائم بحق السيادة الفرنسية وحكمت عليه بالسجن سنتين مع حرمانه من الحقوق السياسية والمدنية، إلا أن رجال الحزب واصلوا نشاطهم السياسي ويعد فوز بومنجل في انتخابات بلدية الجزائر سنة ١٩٣٨ فوزاً لحزب الشعب الجزائري وفوزاً لمصالي الحاج وهو في سجنه، إذ كان بومنجل من رجال الحزب الظاهرين (٥٢).

وعند قيام الحرب العالمية الثانية لم تتغير السياسة الفرنسية في الجزائر عما كانت عليه من قبل، فقد اغتنمت الحكومة الفرنسية فرصة الحرب للقضاء على الأحزاب في الجزائر، فأصدرت في ٢٩/ أيلول/١٩٣٩ قراراً بحل جميع الهيئات والمنظمات الجزائرية ذات الصبغة السياسية والطابع الفعال فأصدرت قراراً حلت بموجبه حزب الشعب الجزائري، كما اعتقلت مصالي الحاج ورفاقه بتهمة التهيئة للثورة والتحريض على العصيان ومنعت صحف الحزب من الصدور (٥٣).

قدم مصالي الحاج في بداية اذار عام ١٩٤١ للمحاكمة امام محكمة عسكرية في الجزائر، وقد صرح أمام القضاة بأن حزبه يرغب في المساواة المطلقة واحترام تقاليد الجزائريين ولغتهم ودينهم، وأعلن عن أمله في إحداث تغييرات وعلاقات جديدة مع فرنسا، وكل ما يرغب به هو خلق تعاون حقيقي بين الجزائر وفرنسا (٥٤)، ومع ذلك حكم عليه في ١٧/آذار/١٩٤١ بـ(١٦) سنة سجناً مع الاشغال الشاقة لانه أصبح عنصراً خطيراً على الوجود الفرنسي في

الجزائر بسبب تغلغل نشاطه السياسي في أوساط واسعة (٥٥). وعادت بعد ذلك السلطات الفرنسية وأطلقت سراحه في ٢٨/نيسان/١٩٤١ ولكنها وضعته تحت الاقامة الجبرية، وعلى الرغم من كل هذا فقد واصل حزب الشعب نشاطه سراً(٥٦) والف أعضاؤه حزب (انتصار الحريات الديمقراطية) وهو حزب نيابي لاينادي بالاستقلال التام، ولكنه دعا في بيانه المطبوع في مؤتمره المنعقد في ١٩٥١ إلى الغاء النظام الاستعماري وتأسيس جمهورية ديمقراطية اشتراكية ومجلس تأسيسي ذي سيادة بالانتخاب العام (٥٧).

اتجه الشباب الجزائري إلى الكفاح المسلح، بعد ان رأوا عقم المحاولات السلمية، واستمرار فرنسا في بطشها واضطهادها، وفي الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤ تفجرت ثورة الجزائر الكبرى وكانت ثورة من نوع جديد اعدّ لها بالتدريب العسكري وتكوين القوات الفتية وهي جبهة التحرير الوطني وسمي جيشها بجيش التحرير الجزائري (٥٨).

وما ان ظهرت جبهة التحرير الوطني الجزائرية حتى انضمت اليها معظم الأحزاب السياسية بعد ان حلت نفسها ولم يبق خارجها الا جماعة مصالي الحاج الذين انشأوا جيشاً بأسم الحركة الوطنية الجزائرية (٥٩).

ومرت السنوات وبلغ شهداء الجزائر مليوناً واكثر حتى سميت بلد المليون شهيد واصبح واضحاً للعالم كله الا مناص من هزيمة فرنسا، بعد أن شارك في ثورة الجزائر رجالها ونساؤها واطفالها وصهرتهم الثورة في بوتقتها، وازاء تصاعد الثورة الجزائرية الكبرى وعجز فرنسا عن إخمادها فضلاً عن انهيار اقتصادها من الحرب وكثرة قتلاها ومناداة الشعب الفرنسي بالجلاء عن الجزائر، لهذه الأسباب مجتمعة لجأت فرنسا إلى المفاوضات (٦٠).

وفي اذار/ ١٩٦٢ جرت المفاوضات بين الجانبين الفرنسي والجزائري في بلدة (ايفيان) على الحدود السويسرية الفرنسية، وانتهت إلى تحقيق الاتفاق بين فرنسا والثورة الجزائرية، وقد نص هذا الاتفاق على وقف القتال، واطلاق سراح الزعماء المعتقلين، وحق الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير، على أن تتولى السلطة هيئة من (١٢) شخصاً خلال المرحلة الانتقالية ، ثم تم بعد ذلك استفتاء الجزائريين الذي اسفر عن رغبة اكيدة في الاستقلال، وقد اعلن عن استقلال الجزائر في ٥/تموز/١٩٦٢ واعترفت الدول به واختير أحمد بن بلة(٦١) رئيساً للجمهورية (٦٢).

هوامش البحث

(١) نابليون بونابرت (١٥/آب/١٧٦٩-٥/آيار/١٨٢١) : قائد عسكري وحاكم فرنسا وملك ايطاليا وإمبراطور الفرنسيين (١٨٠٤-١٨١٤) و(١٨١٥) . حكم فرنسا اواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلاً عاماً ثم بصفته إمبراطوراً في العقد الأول من القرن التاسع عشر، وكان لاعماله وتنظيماته تأثيراً كبيراً على السياسة الأوربية.https://en.Wikipedia.org.

(٢) انوار هاشم سعد البدري، موقف الأحزاب الجزائرية من سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٩١٨-١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة ذي قار، ٢٠١٥، ص ص ٥-٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦.

(٤) الداي: كلمة عثمانية تعني الخال، كانت لقباً يطلق في الأصل على احد قادة الانكشارية العثمانيين، ثم صار احد مراتب السلطة في الدولة العثمانية منذ عام ١٦٧١ خاصة في الجزائر إلى عام ١٨٣٠.

(٥) جعفر عباس حميدي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢، ص ١٦٨.

(٦) انوار هاشم سعد، المصدر السابق، ص ٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٩) إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠، ص ٣٨٩.

(١٠) شارل العاشر: اخر ملوك سلالة أسرة آل بوربون. ولد في ٩/تشرين الأول/١٧٥٧ في فرساي. ارتقى عرش فرنسا عام ١٨٢٤ وحتى عام ١٨٣٠

إذ قامت الثورة الفرنسية بالإطاحة به. وخلفه في الحكم لويس فليب. كان عهده يتسم بالرجعية مما ادى إلى وجود معارضة قوية له وبمختلف التوجهات السياسية. توفي في ٦/تشرين الثاني/ ١٨٣٦.https://en.m.wikipedia.

(١١) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر ١٨٣٠-١٩٨٩، ج١، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ٥١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ص ٥١-٥٢.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ٣٩٠.

(١٥) المصدر نفسه، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(١٦) فهمي سعد، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦.

(١٧) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٠٠-١٩٣٠)، ج٢، ط٤، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢١.

(١٨) فرحات عباس، الليل الاستعماري حرب وثورة الجزائر، ترجمة : وليم خوري، دمشق، ١٩٦٤، ص ص ٢٥-٢٦.

(١٩) عبد القادر الجزائري: كاتب وشاعر وفيلسوف وسياسي ومقاتل. ولد في ٦/أيلول/ ١٨٠٨ في قرية القيطنة بولاية معسكر بالغرب الجزائري. اشتهر بمناهضة الاحتلال الفرنسي للجزائر. كان رائداً سياسياً وعسكرياً مقاوماً قاد جيش افريقيا خمسة عشر عاماً اثناء غزو فرنسا للجزائر وهو أيضاً مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاحتلال والاضطهاد الفرنسي. توفي في ٢٦/ايار/١٨٨٣ في دمشق. للمزيد انظر: نزار اباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٤.

(٢٠) James Fearon and David Laitin, Algeria, standford University, California, ٢٠٠٦, P.٥.

(٢١) انوار هاشم سعد، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ص ١٥-١٦.

(٢٣) إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

(٢٥) فهمي سعد، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٢٦) إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢٧) صلاح العقاد، تاريخ المغرب العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ص ٧٥-٧٦.

(٢٨) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٧٦-١٨٦.

(٣١) ودرو ويلسون (١٨٥٦-١٩٢٤): الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة. ولد في ٢٨/كانون الأول عام ١٨٥٦ في ستاونتون في ولاية فرجينيا. دخل كلية نيوجرسي عام ١٨٧٥، ثم كلية القانون في جامعة فرجينيا عام ١٨٧٩، وبعد تخرجه مارس المحاماة وبعد حصوله على الدكتوراه اشتغل في مهنة اكاديمية وتخصص في القانون الدستوري والتاريخ واصبح استاذاً في جامعة برنستون عام ١٨٩٠ حتى ١٩٠٢ ثم رئيساً للجامعة (١٩٠٢-١٩١٠). انتخب حاكماً لولاية نيوجرسي (١٩١١) وتولى الرئاسة بعد فوزه في انتخابات (١٩١٢) مرشحاً عن الحزب الديمقراطي ليحكم لفترتين متواليتين (١٩١٣-١٩٢١)، وقد عرف بنقاطه الاربع عشرة للسلم لاعادة بناء أوربا والعالم من جديد بعد الحرب العالمية الأولى. توفي في واشنطن في ٣/شباط/١٩٢٤.

The New Encyclopaedia Britannica, Vol. ١٥ ،١٩th Edition, U.S.A, ١٩٧٨, PP. ٨٣٩-٨٣٦.

(٣٢) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣٣) فهمي سعد، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ص ٤٩-٥٠.

(٣٥) خيرية عبد الصاحب، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٥٧.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ص ١٥٨-١٥٩.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٣٨) مصالي الحاج: زعيم وطني جزائري. ولد في ١٦/آيار/١٨٩٨ في مدينة تلمسان ولقب بـ(ابي الحركة الوطنية في الجزائر). ناضل من اجل الاستقلال. توفي في ٣/حزيران/١٩٧٤ في باريس ودفن في مقبرة الشيخ السنوسي بمسقط رأسه. للمزيد انظر: عبد العزيز بوتفليقة، مذكرات مصالي الحاج ١٨٩٨-١٩٣٨، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠٠٧.

(٣٩) جلال يحيى ، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٢١.

(٤٠) خيرية عبد الصاحب، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٤٢) رياض زاهر، شمال افريقيا في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٨٢.

(٤٣) بشير بلاح، المصدر السابق، ص ٣٦٧.

(٤٤) رياض زاهر، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٤٥) صلاح العقاد، المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، دراسة في تاريخه الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٠٢.

(٤٦) جلال يحيى، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٤٧) خيرية عبد الصاحب، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٤٨) صلاح العقاد، المغرب العربي، ص ٣٠٢.

(٤٩) خيرية عبد الصاحب، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٥٠) بشير بلاح، المصدر السابق، ص ٣٦٧.

(٥١) خيرية عبد الصاحب، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٥٢) جلال يحيى، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٥٣) انوار هاشم سعد، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٥٤) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج٣، ص ١٨٢.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) أحمد الخطيب ، الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨، ص ٨٣.

(٥٧) إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٤٠٦.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ص ٤١١-٤١٢.

(٦١) أحمد بن بلة : أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال. ولد في ٢٥/كانون الأول/١٩١٨ في مدينة مغنية جنوب وهران بالغرب الجزائري. ناضل من اجل استقلال البلاد عن الاحتلال الفرنسي، وشارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني في عام ١٩٥٤. توفي في ١١/نيسان/٢٠١٢ في الجزائر. للمزيد انظر: روبيرميرل، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة: العفيف الاخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، د.ت.

(٦٢) إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ٤١٢.